بين الكسائي والفراء فيما إذا كان «العماد» أي «ضمير الفصل» توكيداً لما قبله أو لما بعده[1].

واختلفوا في مسألة الفعل والمصدر فذهب البصريون إلى أن أصل الاشتقاق هو المصدر في حين ذهب الكوفيون إلى أن الأصل هو الفعل.

ولو نظرت إلى هذه المسألة الخلافية نظراً جديداً لوجدت أن الفعل والمصدر مادة واحدة وليس من أولية مدَّعاة لأيٍّ من هاتين المادتين، وإذا كان مما يستحق النظر فيما يتصل بهذه الفائدة فهو الوقوف على علاقة الأسماء الحسيَّة بالمصادر والأفعال فمن المعلوم أن الأصول الحسيَّة (الجامدة) أسبق في العربية من المصادر والأفعال، وأن هذه الأخيرة تولَّدت من الأصول الجامدة الحسيَّة. وليس عسيراً علينا أن ندرك أن العلاقة بين «العقل» وهو المصدر المعنوي وبين «العقال» من أسماء الأدوات.

وليس عسيراً علينا أن ندرك العلاقة بين الحَكَمة (بفتحتين) وهي حديدة توضع في فم الدابَّة تضبطها وتكبح جماحها، وبين «الحِكْمة» المادة العقلية التي انصرفت في العربية إلى العلوم كافة.

ومن هنا ندرك أن الخلاف بين البصريين والكوفيين لم يعرض إلاَّ للفروع ولا يتصل إلاَّ بالتعليل الخاص بكل منهما. ثم خلافهم في إطلاق المصطلح وما كان منه لدى الكوفيين كما بسطناه جلياً.

ولا أريد أن أتعصب للبصريين ذلك أني أقف منهم وقفتي الأولى: أني أعرض لمادتهم بخيرها وشرِّها مؤيداً ما جاءوا به حسناً وناقداً ما قصَّروا فيه، على أن هذا المجموع بإيجابياته وسلبياته يؤلف تراثاً نحوياً اجتهد فيه أصحابه وأخلصوا فاستحقوا الإكبار والثناء.

---

(١) الإنصاف المسألة ذات العدد ١٠٠، وانظر شرح الكافية ٢/٢٧، والمغني ص ٦٤٥.